**محاضرة:**

**مدخل إلى علم الاجتماع الأدبي**

**إعداد الأستاذ: طارق بوحالة**

**1-** **الأدب والمجتمع:**

تنشأ العلاقة بين الأدب والمجتمع بنشأة النص الأدبي نفسه، بمعنى إن النص الأدبي لا يمكنه أن ينشأ ويتشكل خارج الجماعة البشريّة التي ينتمي إليها الكاتب الذي يحمل على عاتقه مسؤولية التعبير عن أحلام وأمال وطموحات وآلام مجتمعه. "والعلاقة بين الأديب والواقع الاجتماعي ليست علاقة من جانب واحد، بل علاقة جدليّة، فالأديب يعكس ويصور الحياة الاجتماعية في بيئته، ولكنه لا يعكس هذه الحياة آليّا، ولكن يتم ذلك بدرجة كبيرة من التعقيد، بحيث يصبح الأدب بمثابة ثمرة من ثمرات انعكاس الواقع الاجتماعي في شعور الأديب وفكرة من خلال خبرته، وفي حدود ثقافته وموقفه الاجتماعي، والأدب كذلك ثمرة اختياره لعناصر من هذا الواقع، ثم ثمرة إعادة بناء هذه العناصر جميعا بلغة جديدة هي لغة التعبير الأدبي."[[1]](#footnote-1)

نستخلص من هذا الرأي أن العلاقة بين المبدع ومجتمعه ليست علاقة بسيطة وسطحية كما يظهر لنا للوهلة الأولى، بلّ هي علاقة معقدة تخضع إلى عملية تمثل للواقع الاجتماعي من قبل الكاتب كمرحلة أولى، ثم إعادة تشكيله وهو ما يسمى بالتمثيل، كمرحلة ثانية. وتحتاج هذه العملية إلى وعي فعّال بجزئيات هذا الواقع.

**2-علم الاجتماع الأدبي:**

علم الاجتماع الأدبي في أبسط تعريفاته هو ذلك المجال المعرفي الذي يبحث في العلاقة الموجودة بين الأدب والمجتمع، أي يحاول أصحاب هذا التخصص الكشف عن أهم مواطن التمثيلات الاجتماعية داخل النصوص الأدبية، التي تحيل على التحولات الاجتماعية عبر مسار معين أو في لحظة تاريخية خاصة.

ويهدف علم الاجتماع الأدبي إلى "دراسة الأدب من منظور علم الاجتماع سواء لمعرفة رؤية الكاتب ‘إزاء المجتمع، أو لربط العمل الأدبي بالبناء الاجتماعي، إذ يساعدنا الأدب أن نتعلم شيئا ما عن المجتمع استنادا على أسس التحليل الاجتماعي المقارن.كما تعكس الأعمال الأدبية التغيرات الاجتماعية التي طرأت على المجتمع ولكن من وجهة نظر الأديب." [[2]](#footnote-2)

يفتح لنا هذا القول الحديث عن قضية مهمة تتعلق بأن علم الاجتماع الأدبي يتعامل معه من منظورين هما:

-هو جزء من علم الاجتماع.

-هو فرع من فروع النقد الأدبي.

وإذا عدنا إلى المنظور الأول، فإنّ علم الاجتماع الأدبي هو فرع من فروع علم الاجتماع، ويخضع بذلك إلى مناهجه البحثيّة، ويتعامل مع الأدب باعتباره ظاهرة اجتماعيّة فحسب، إذ يخضعها إلى التحليل السوسيولوجي وفق مناهج علم الاجتماع، أما عن المنظور الثاني فهو أنّ علم الاجتماع الأدبي يعد من المعارف النقدية، وهو "يهتم بخصوصية الاجتماعي الكامنة في النص الأدبي، ويعد هذا (التخصص) أكثر التصاقا بالأدب من غيره لأنه يهتم بخصوصية الاجتماعي الكامنة في النص ذاته، لا بالتأثيرات الاجتماعية الخارجة عنه، وهو ما قرب بين النقد الأدبي وسوسيولوجيا الأدب، وتجاوز الصراعات التقليدية."[[3]](#footnote-3)

ويعد هذا التوجه هو الأقرب إلى الدرس النقدي والأدبي، فهو يهتم بقراءة التمثيلات والتشكيلات الاجتماعية الموجودة داخل النص، ثم يحاول في مرحلة ثانية الانفتاح بهذه القراءة على السياق الخارجي مفسرا ذلك ضمن معطيات هذا السياق، ولهذا نجد أن هذا التوجه النقد كثيرا ما يوظف القراءة السوسيو-نصية، أو الاعتماد على آليات المنهج البينوي التكويني.

والعملية الإبداعيّة من منظور علم الاجتماع الأدبي عملية معقدة جدا، حيث إن الوقائع الاجتماعية تنعكس أولا على ذات الكاتب وتخضع إلى عملية مراجعة وتحليل واستقراء ومحاورة داخليا، ثم يعاد تشكيلها إبداعيا بواسطة اللغة الأدبية، التي هي عنصر تمثيلي بامتياز. فاللغة هي الأداة الكفيلة بإعادة خلق الوقائع الاجتماعية المنعكسة في ذات الكاتب، معبرا بذلك عن موقفه وموقف طبقته أو مجتمعه الذي يعيش فيه. لهذا فـ " الأدب مؤسسة اجتماعية، أداته اللغة، وهي من خلق المجتمع،...والأدب يمثل الحياة، والحياة في أوسع مقاييسها حقيقة اجتماعية واقعة." [[4]](#footnote-4)

ويهتم علم الاجتماع الأدبي بدراسة الأطراف الثلاثة المشكلة للعملية الإبداعية، وهي الأديب والنص والقارئ منم منظور اجتماعي، وهو ما سنناقشه في المحاضرة المقبلة.

1. -محمد سعيد فرح ومصطفى خلف عبد الجواد: علم اجتماع الأدب، دار المسيرة، الأردن، ط1، 2009، ص29. [↑](#footnote-ref-1)
2. -محمد سعيد فرح ومصطفى خلف عبد الجواد: علم اجتماع الأدب، ص20. [↑](#footnote-ref-2)
3. - عبد العزيز خواجة: أنماط العلاقات الاجتماعية في النص القرآني، صفحات للنشر، ط1، 2005، ص35. [↑](#footnote-ref-3)
4. - رونيه ويليك وأوستين وارين: نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1981، ص97. [↑](#footnote-ref-4)